ظاهرة الإجراء في كتاب سيبويه / دراسة في الحكم النحوي

م. ندى شعلان موحان
Nada.shaalan@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية

الملخص

تبرز في كتب النحو العربي كثير من الأحكام النّحويّة التي تقوم على التشابه مع أحكام أخرى فتجري على مجراها، ليصرّح النحوي في بعض الأحيان على نحو بارز أنّ الحكم سببه أنّ كذا يجري مجرى كذا، ووفقاً لذلك جاء الحكم النّحويّ على هذا المنوال، لتكون الأسباب وفقاً لهذا النحوي مرتكزة على هذا الجريان، ومن هؤلاء النحاة اللذين تبرز عندهم هذه الظاهرة (سيبويه) إذ نلمحها في كتابه على نحو واضح في اتجاهات مختلفة (الأحكام المتعلقة بالأسماء، والأفعال، والحروف)، وفي التشعبات المتنوّعة من هذه الاتجاهات، التي تظهر بوضوح، وتُعزى أسباب كثير من الأحكام عنده إلى جريان بعضها مجرى بعضها الآخر.

يدرس البحث ظاهرة الإجراء في كتاب سيبويه على وجه الخصوص، ليركز على دراسة الحكم النحوي من حيث كونه جرى مجرى كذا (أي مجرى حكم آخر لقضية أخرى مشابهة)؛ ليوضّح الحكم النحوي وأسبابه بالاستناد إلى أسباب القضية التي جرى مجراها، ويركّز البحث على عرض قضايا في مسائل النحو واقسامه المتعلقة بالاسماء، والأفعال، والحروف، وأيضاً عرض قضايا جزئيّة ضمن هذه القضايا لتكون أمثلة على هذه الظاهرة، وهذا العرض يقوم على دراسة وصفيّة؛ أي وصف الظاهرة بعد عرضها بغية توضيحها.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة ، مجرى ، الحكم النحوي ، سيبويه ، وصف.

The Procedure phenomenon in Sibawayh's Book / A study in Grammatical Judgment

Inst. Nada Sha'lan Mohan
College of Education/ Ibn Rushd for Human Sciences

Abstract

Many grammatical rulings appear in the books of Arabic grammar, which are based on similarity to other rulings and follow their course. Sometimes the grammarian clearly states that the reason for the ruling is that such-and-such happens in the course of others, and accordingly

the grammatical ruling came in this way, so that the reasons are in accordance with this. Grammar is based on this flow, and one of those grammarians for whom this phenomenon is prominent is (Sibawayh), as we clearly glimpse it in his book in different directions (rulings related to nouns, verbs, and letters), and in the various ramifications of these directions, which clearly appear, and the reasons are attributed. Many of his rulings are subject to some running the same way as others.

The research studies the phenomenon of procedure in Sibawayh's book in particular, focusing on studying the grammatical ruling in terms of the fact that it occurred in the course of such-and-such (i.e. the course of another ruling for another similar case); To clarify the grammatical ruling and its reasons based on the reasons for the case that took place, the research focuses on presenting issues in grammatical issues and its sections related to nouns, verbs, and letters, and also presenting partial issues within these issues to be examples of this phenomenon, and this presentation is based on a descriptive study; That is, describing the phenomenon after presenting it in order to clarify it.

Keywords: Phenomenon, Course, Grammatical Judgment, Sibawayh, Description.

منهج البحث:

أمّا المنهج الذي اتبعه الباحث فهو (المنهج الوصفي) الذي يقوم بدوره على استقراء الظاهرة واستنباطها ووصفها، وذلك كلّه بعد أن تتمّ ملاحظتها؛ فأسس المنهج أربعة: الملاحظة، الاستقراء، الاستنباط، الوصف، ....، فبعد أن تمّت ملاحظة ظاهرة الإجراء في كتاب سيبويه يتجّه البحث إلى استقرائها، ووصفها في الاتجاهات النحوية المختلفة، بغية توضيحها على النحو الذي يزيل الإبهام عنها، وذلك من خلال عرض النماذج المختلفة المتمثلة بأمثلة الكتاب الخاصة لهذا الكلام وقواعده.

أولاً: ظاهرة الإجراء في الأسماء:

وتكثر ظاهرة الإجراء عند سيبويه في الاسماء؛ إذ تتنوع في هذا الباب وتتشعب، وتكثر اتجاهاتها، ومن هذه الاتجاهات نقطتان أساسيتان فقط:

١- ما جرى من المصادر مجرى الفعل المضارع في عمله ومعناه:

وهو ما يضرب سيبويه عليه مثالاً قولك: (عجبتُ من ضرْبِ زيداً)، ومعنى الجملة عنده أنّه يضرب زيداً [١]؛ وهنا المصدر (ضرب) وهو من المصادر الثلاثية السماعية جرى مجرى الفعل المضارع يضرب في المعنى (المعنى إنه يضرب زيداً) وفي العمل (زيداً) معمول لهذا المصدر إن كان فيه دليل على الفاعل وهو المفعول به ولكن هنا يغيب الفاعل فإنّك هنا لم تذكر الفاعل فالمصدر ليس بالفاعل و، أمّا عندما تقول: (هذا ضاربٌ زيداً) فإنك لا تحتاج إلى فاعل ظاهر؛ لأنّ المضمر في (ضارب) هو الفاعل.[٢]

ويستعرض سيبويه مثالاً قول الشاعر:[٣]

فلولا رجاء النّصر منك ورَهْبَةٌ عِقابَكَ قَد صاروا لنا كالمواردِ

وهنا الشاهد في إعمال المصدر (رهبة)، وهو ما أورده ابن يعيش شارحاً المعنى على أنّه لولا رجاؤنا لنصرك إيانا عليهم ورهبتنا لعقابك لنا إن انتقمنا منهم بأيدينا لوطئناهم وأذللناهم كما تُوطأ الموارد، وهي الطرق إلى الماء وقد خصها بالذكر دوناً عن غيرها لأنّها أعمر الطرق والأكثر استعمالاً بين الطرق جميعها، وقد ذكر ابن يعيش موضع الاستشهاد في الإعمال للمصدر (رهبة) بعد إيراده منوّناً [٤].

ومن هذا الإعمال أيضاً قول الشّاعر: [٥]

بِضَرْبٍ بالسّيوفِ رؤوسَ قَومٍ أزلْنا هامَـــــهنَّ عَنِ المَقِيْلِ

وقد نسبه العيني في كتابه إلى المرار بن مُنقذ، وفيه خلاف ...[٦] ، وهنا يرى ابن يعيش أنّ موضع الاستشهاد في إعمال المصدر (ضرب) في مطلع البيت، فَنَصِب لفظ (السيوفَ) بالمصدر العامل (ضرب)، لتكون إضافة الهام تبعاً لابن يعيش إلى ضمير الرؤوس اتساعاً ومجازاً وذلك لاختلاف اللفظين ....[٧]

٢- ما جرى من الأسماء التي لم تُؤخذ من الفعل مجرى الأسماء التي أُخذت من الفعل:

ومثاله عند سيبويه قولك: (أتميميّاً مرّة وقيسيّاً أُخرى) [٨]، ويشرح سيبويه قائلاً: "وهو عندما ترى رجلاً في حالة تنقّل وتلوّنٍ فتقول (أتميميّاً مرّة وقيسيّاً أُخرى) فكأنّك قلت أتُحَوِّلُ تميميّاً مرّة، وقيسيّاً أخرى، فأنت في هذا تعمل على إثبات هذا له وثبّته وهو عندك في تلك الحال في تلوّنٍ وتنقّلٍ وليس يسأله مسترشداً عن أمر هو جاهل عنه ولا يعلمه، ليقوم بإعلامه به وإفهامه إيّاه، ... ولكن الغرض هنا الانتقاد، والتّوبيخ على هذا الانتقال وعدم الثّبات ..."[٩].

وقد ذكر سيبويه مثالاً وهو قولٌ لواحدٍ من رجالِ من بني أسد يوم جَبَلَةَ، واستقبله بَعيرٌ أعور فتطيّر منه فقال يا بني أسد أعورَ وذا نابٍ، وهو هنا لم يُرِد أن يسترشدهم فيخبروه عن عَوره وصحّته، ولكن المراد التنبيه، وكأنّه قال: أتستقبلون أعور وذا نابٍ، فالاستقبال في حالة تنبيهه

إيّاهم كان واقعاً، وذلك تماماً كما في الحالة الأولى (المثال الأوّل) عندما كان التّلوّن والتنقل واقعين (أي الوقوع كان محقّقاً) [١٠].

واستشهد سيبويه بقول هند بنت عتبة مثالاً على ذلك: [١١]

أفي السلم أعياراً جَفاء وغِلظَةً وفي الحربِ أشباهَ الإماءِ العَوارِكِ [١٢] *

وهنا المقصود التنقّل والتنقّل مرة كذا ومرة كذا ... والشاهد هنا في نصب أعياراً على إضمار لفعل وُضعت هي موضعه ...[١٣] .

وأمّا قول الشّاعر (وينسبه سيبويه إلى جرير): [١٤]

أعبداً حلَّ في شعبي غريباً ألؤماً لا أبالك واغترابا

جاء الشاهد في مطلع الكلام وهو على وجهين أولهما وجه النداء أو على أنّه رآه في حال افتخار واجتراء، فقال أعبداً أي أتفخّر عبداً، كما قال (أتميميّاً : مرّة). [١٥]

٣- ما جرى في الاستفهام من أسماء الفاعلين والمفعولين مجرى الفعل كما يجري في غيره مجرى الفعل:

و"مثاله (أزيداً أنتَ ضاربه)، وأزيداً أنت ضاربٌ له، وأعمراً أنت مُكرمٌ أخاه، وهنا التركيب في الجمل يحيل إلى قولك: أنت ضاربٌ وأنتَ مُكرمٌ، فكأنّك قلت ذلك، فالمعنى يحيل إلى ذلك كما كان ذلك في الفعل؛ لأنّه يجري مجراه ويَعملُ في المعرفة كلّها والنكرة مقدّماً ومؤخّراً، ومظهراً ومضمراً" [١٦].

وأجازها في الرفع نحو" (أزيدٌ أنت ضاربه) فجعل هذا التركيب بمنزلة (أزيدٌ أنت أخوه) فهي جائزة، ومما جرى مجرى فاعلٍ من أسماء الفاعلين صيغة (فواعل) ومثالها عنده (هنَّ حَواجٌّ بيتَ الله)" [١٧]، ومن الشواهد التي أوردها سيبويه على هذا الإجراء قول الشاعر الهذلي: [١٨]

مِمن حَملْنَ به وهنَّ عَواقِدٌ حُبُّكَ النّطاقِ فَعاشَ غَيرَ مُهَبَّلِ

والشاهد هنا إعمال (عواقد) وهو على صيغة فواعل ضمن الإجراء الذي تحدّث عنه ، وهو يصف رجلاً شهم الفؤاد ماضياً، معيداً علّة نجابته أنّ النساء قد حملت به وهن عواقد للنطق، وحبّك النّطاق: مشدّه، وإحداها حباك [١٩].

٤- ما يعمل عمل الفعل ولم يجرِ مجرى الفعل ولم يتمكّن تمكّنه:

ومثاله عند سيبويه "(ما أحسن عبد الله)" [٢٠]، ويشرحه مستنداً إلى رأي الخليل وهو أنّه كأنّك تقول: "شيء أحسنَ عبد الله ودخله معنى التّعجب وهذا تمثيل ولم يُتكلّم به ..." [٢١]، ويتابع بمنازل التقديم في هذا التركيب، فيقول بعدم جواز التقديم وتحديداً تقديم الاسم (عبد الله) وعدم جواز إزالة شيء أو أي لفظ من موضعه ولا تقول فيه ما يُحسِنُ ولا شيئاً مما يكون في

* العوارك: جمع عارك وهي الحائض: ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: د. يوسف البقاعي؛ إبراهيم شمس الدين؛ نضال علي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، مادة: عرك.

الأفعال ...[٢٢] ، فهنا عدم جواز التقديم والتأخير هو من باب عدم تمكّن الاسم تمكّنَ الفعل، وعدم جريانه مجراه على نحو كامل فلا يجوز أن يُعامل معاملة الفعل تماماً، ويحدد سيبويه أوزان هذه الأسماء (فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ، أَفْعَلَ)[٢٣]، وهي الأوزان الوحيدة التي يتم البناء عليها لأنهم لم يُريدوا أن يتصرف فجعلوا له مثالاً واحداً يجري عليه ، وتم تشبيه ذلك بما ليس من الفعل نحو (لات)، (ما) ... وجعل (ما) اسماً وحدها مثاله (إنّي مما أنْ أصنعَ) أي من الأمر أن أصنع، فتكون (ما) وحدها اسماً تبعاً لم تمّ جعله [٢٤]، ومثل ذلك: غسلته غسلاً نعمّا أي نعم الغسل، وتقول أيضاً ما كان أحسنَ زيداً وتكون (كان) دلالة على الزمن الماضي أي دلالتها دلالة زمنية فقط [٢٥].

ويرى الأخفش في هذا الباب أنّه يمكن جعل (أحسن) صلة لـ (ما) والخبر في هذه الحال مضمر، وهو الأجدى وفقاً له [٢٦].

٥- باب ما جرى من اسم الفاعل مجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى:

ومثاله: (هذا ضاربٌ زيداً غداً) فمعناه وعمله مثل: (هذا يضربُ زيداً غداً) فإذا حدّثت عن فعل في حين وقوعه غير منقطع كان كذلك، وتقول أيضاً (مثال آخر عند سيبويه): هذا ضاربٌ عبد الله السّاعةَ، فمعناه وعمله مثل: هذا يضربُ زيداً السّاعةَ، وكان زيدٌ ضاراً أباكَ فإنّما تحدثُ أيضاً عن اتصال فعلٍ في حال وقوعه،... [٢٧]

ومما جاء به سيبويه من هذا الباب من الشعر، وقد جاء منوّناً قول الشّاعر: [٢٨]

إنّي بِحبلِكَ واصِلٌ حَبلي وبِريشِ نَبْلِكَ رائشٌ نَبلي *

والشاهد في تنوين اللفظين (واصل) و (رائش) ونصب ما بعدهما على التشبيه بالمضارع، فهو هنا أجرى الاسمين وهما (اسم فاعل) على مجرى الفعل المضارع في العمل، وهنا العمل جاء في نصب المفعول به، وقد أجراهما مجرى الفعل المضارع؛ لأنهما في معناه، ومن لفظه أيضاً، فالأمر لا يقتصر على المعنى، وإنّما توفّر شرط الاتفاق اللفظي أيضاً وهو شرط جوهري لا يتم إجراء المجرى بدون توفّره ...، وبتوفّره جريا مجراه في العمل، كما جريا مجراهما في الإعراب [٢٩].

ويستشهد سيبويه بأبيات شعريّة أخرى على هذا الإجراء للشّعراء، فيذكر بيتاً لعمر بن أبي ربيعة: [٣٠]

ومن مالئ عينَيْه من شيء غيره إذا راحَ نحوَ الجمرة البيضُ كالدُّمى

والشاهد فيه نصب عينيه بعد اسم الفاعل (مالئ) فتم إجراؤه مجرى الفعل في العمل؛ لأنه في معناه (معنى يملأ)، واتفق معه في اللفظ، ....، ومن أمثلة ما استعرضه سيبويه على هذا النوع من الإجراء قول زهير بن أبي سلمى: [٣١]

* النبل: السهم، ينظر: اللسان، مادة نبل .

بدا لي أنّي لستُ مُدركَ ما مضى ولا سابقاً شيئاً إذا كان جائيا

٦- ما جرى من الأسماء مجرى المصادر التي يُدعى بها:

ومثالها عند سيبويه قولك (تُربا)، و(جندلا)، وما أشبه ذلك، وهنا إن أدخلت (لك) وقلت (تربا لك) فإنّ تفسيرها يكون على جريان الاسم مجرى المصدر وإفادته لمعنى الفعل واختزل الفعل لأنهم جعلوه بدلاً من قولك تربت يداك تُربا، وجندلت يداك جندلاً، وقد رفعه بعض العرب فجعله مبتدأً مبنيّاً عليه ما بعده [٣٢].

ويورد سيبويه قول الشاعر:[٣٣]

لقد ألبَ الواشون ألباً لبينهِمْ فَتُربٌ لأفواه الوشاةِ وجَنْدَلُ

والشاهد فيه في رفع ترب على الابتداء وخبره الجار والمجرور بعده، ...، ومن ذلك أيضاً وتبعاً لسيبويه قولك فاها لفيك، .... وإنما تريد فالداهية ... [٣٤].

٧- باب ما جرى من المصادر المضافة مجرى المصادر المفردة المدعو بها:

و"إنما أُضيفت ليكون المضاف فيها بمنزلته في اللام ومثالها: (قولك سقياً لك) لتبيّن مَن تَعني، .... ومنها ويلك، وويحك وويسك، ووَيبك، ويوضّح سيبويه المرفوض وعدم الجائز منها، فيرى أنّه لا يجوز: سَقيَكَ ، إنما تُجرى ذا كما أجرت العرب[٣٥]."

ومثل ذلك: "عَددتكَ ، وكِلتَكَ (ووزنْتُكَ) ولا تقول وهبتكَ لأنهم لم يعدّوه، ولكن تقول: وهبتُ لك، وهذا حرف لا يُتكلّم به مفرداً إلا أن يكون على ويلك ، وهو قولك ويلك وعولك[٣٦]".

٨- باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه: ومثاله عند سيبويه:

"قولك: أتاني زيدٌ الفاسقَ الخبيثَ لم يرد أن يُكرّره ولا يعرّفك شيئاً جديداً ولكنّه شتمه بذلك ... ، وهنا المراد الشتم وإن جرى مجرى التّعظيم[٣٧]".

ويضرب سيبويه مثالاً آخر، وهو قراءة هذا اللفظ نصباً في قولك (وامرأتُهُ حمَّالةَ الحَطبِ، وهو هنا يُخرج لفظ حمالة من دائرة الإخبار فلا يجعلها خبراً للمرأة، ولكنّه كأنّه قال (أذكرُ حمَّالةَ الحَطَبِ) شتماً، وإن كان فعلاً – عندَ لسيبويه- لا يُستعملُ إظهاره [٣٨].

ومن أمثلة ذلك في الشعر قول عروة الصعاليك العبسي: [٣٩]

سقوني الخمر ثمّ تَكنّفوني عُداةَ الله مِن كَذبٍ وزورِ

و"يُروى (سقوني النسء)، وشتمهم هنا بشيء استقر عند المخاطبين أي بصفة موجودة عندهم صفة الكذب[٤٠]"

٩- ما جرى من الأسماء التي تكون صفة مجرى الأسماء التي لا تكون صفة:

" وذلك أفعلُ منه، ومثلك وأخواتُهما وحسبُكَ من رَجُلٍ وسواءٌ عليه الخيرُ والشّر، وأيّما رجلٍ ، وأبو عشرةٍ، وأبٌ لكَ وأخٌ لكَ وصاحبٌ لَكَ، وكلُّ رَجُلٍ، وأفعلُ شيء نحو خيرُ شيء، وأفضلُ شيء، وأفعلُ ما يكون، وأفعلُ منك " [٤١]، وإنما صار ذلك بمنزلة الأسماء التي لا تكون صفة

من قبل أنها ليست بفاعلة وأنها ليست كالصفات غير الفاعلة نحو: حسن، وطويل، وكريم من قبل أنّ هذه تُفرّد وتؤنّث بالهاء كما يؤنّث فاعل، ويدخل إليها الألف واللام، كما تكون نكرة بمنزلة الاسم الذي يكون فاعلاً حين تقول: هذا رجلٌ ملازمٌ الرّجلَ، وذلك قولكَ: هذا حسَنُ الوَجْهِ، وهنا يمكن أن تُدخل الألف واللام على حسن الوجه فتقول الحسنُ الوجهِ كما تقول الملازمُ الرّجل فَحسن وما أشبهه يتصرّف هذا التّصرف، ولا تستطيع – وفقاً لسيبويه – أن تُفردَ شيئاً من هذه الأسماء الأخر لو قلتَ: "هذا رجلٌ خيّرٌ، وهذا رجلٌ أفضلُ، وهذا رجلٌ أبٌ ، لم يستقم ولم يكنْ حسناً، ويُضاف إلى ما سبق كلمة (أيٌّ)، فلا تقول هذا رجلٌ أيٌّ" [٤٢]، "فعندما قمت بإضافتهن وأوصلت إليهن شيئاً يتصف بالحسن وأتممتهن به صارت الإضافة وما أضفته من لواحق أداة من أدوات التحسين لهنّ، وهنا لا يستطيع أحد أن يدخل الألف واللام كما تمّ إدخالهما على الحسن الوجهِ، كما أنها لا تُنوّن"[٤٣].

١٠- <u>باب ما جرى من الأسماء التي من الأفعال وما أشبهها من الصفات التي ليست بعمل نحو الحسن والكريم وما أشبه ذلك مجرى الفعل إذا أظهرت بعده الأسماء أو أضمرتها:</u>

ومثاله عند سيبويه: (مررت برجل حسنَ أبواه) وأحسنُ أبواه وأخارجٌ قومك فصار هذا بمنزلة قال أبواك وقال قومُكَ على حدّ من قال: قومكَ حَسنونَ إذا أخّروا فيصير هذا بمنزلة أذاهبٌ أبواكَ، وأمنطلق قومكَ [٤٤].

وهنا يتحدث سيبويه عن موقع الابتداء فيرى أنه إن بدأت بالاسم قبل الصفة قلتَ: قومكَ منطلقون، وقومك حسنون كما تقول أبواك قالا ذاك، وقومك قالوا ذاك... فإن بدأت بنعت مؤنّث فهو يجري مجرى المذكر إلا أنك تُدخل الهاء وذلك قولك أذاهبةٌ جاريتُكَ، وأكريمةٌ نساؤكم فتصبح هنا الهاء في الأسماء بمنزلة التاء في الأفعال ... وكذلك تبعاً لسيبويه أقرشيٌّ قومك، وأقرشيٌّ أبواكَ إذا أردت الصفة أن تجري مجرى حسن، وكريم، وإنما قالت العرب: قال قومك، وقال أبواك؛ لأنهم اكتفوا بما أظهروا عن أن يقولوا قالا أبواكَ، وقالوا قومك فحذفوا ذلك اكتفاء بما أظهروا، أي حذفوا ذلك لأنهم استغنوا عنه لأن ما ظهر كافٍ لتوضيح المعنى في التركيب، وليس التركيب بحاجة إلى ما هو محذوف، فكان الحذف لأداء المعنى على نحو تام بما تمّ إظهاره [٤٥].

ويورد سيبويه شاهداً شعرياً على ما سبق ذكره، وهو قول الشّاعر: [٤٦]

أليسَ أكرمَ خلقِ اللهِ قَدْ عَلموا عندَ الحِفاظِ بَنو عمروٍ بن حُنجودِ[٤٧]

وهنا الشاهد في إفراد الفعل (ليس) وإن كانت فعلاً للجماعة كما هو الحال في الأفعال التي تتقدم الفواعل عليها [٤٨]، فقد صارت ليس هنا بمنزلة: ضرب قومُكَ بنو فلان؛ لأنّ ليس فعلٌ فإن بدأت بالاسم قلتَ: قومكَ قالوا ذاك، وأبواكَ قد ذَهبا؛ لأنّه قد وقع هنا إضمار في الفعل وهو أسماؤهم، فلا بدّ للمضمر أن يجيء بمنزلة المُظهر[٤٩].

ونلاحظ أن ظاهرة الإجراء في كتاب سيبويه جاءت واسعة في نطاق الأسماء، فقد عمد إلى التّوسع في شرح ما يجري من الأسماء مجرى الأفعال، ومجرى الأسماء العاملة من المصادر وسواها ....، وكان التوسع في شرح هذه الأسماء وطريقة الجريان عبر عرض الشواهد المتنوعة (شعر وسوى ذلك) ليكون الأمر المطروح واضحاً أمام القارئ، فظاهرة الإجراء فيما يتعلق بالأسماء جاءت موضّحة على نحو تام، كما جاءت معّمّقة، ونشير هنا إلى أنّ هذه الظاهرة عند سيبويه لم تقتصر على الأسماء، فقد جاءت في الأفعال والحروف أيضاً ولكن لم يكن ظهورها بارزاً على قدر ما هو وفي الأسماء، ومنه ما يسرد ذكره لاحقاً.

ثانياً: ظاهرة الإجراء في الحروف:

١- باب الحروف التي أُجريت مجرى حروف الاستفهام وحروف الأمر والنّهي:

وهي حروف النّفي وقد شبّهوها بحروف الاستفهام حيث قُدّم الاسم قبل الفعل لأنّهن غير واجبات كما أن الألف وحروف الجزاء غير واجبة، وكما أنّ الأمر والنهي غير واجبين.(٥٠)

وسَهُلَ تقديم الأسماء فيها وفقاً لسيبويه؛ لأنّها نفي لواجب، و" ليست كحروف الاستفهام والجزاء، وإنما هي مضارعة، وإنما تجيء لخلاف قوله: قد كان، ومثاله قولك: ما زيداً ضربتُه، ولا زيداً قتلتُه، وما عمراً لقيتُ أباه، ... وكذلك الأمر عندما تقول: ما زيداً أنا ضاربُهُ إذا لم تجعله اسماً معروفاً"(٥١)، وهنا يعمل حرف النفي عمل حرف الاستفهام أو حرف النفي؛ إذ إنّه يعمل فيما بعده، ويتحول من حرف مهمل غير عامل إلى حرف عامل، كما تعمل الحروف السابقة (والتي لها حقّ العمل)، فيجري مجراها في العمل، وهنا يعمل الحرف فيما بعده فينصب الاسم، ليكون الإجراء في عمل الحرف فيما بعده، كما تعمل حروف الاستفهام، وحروف النهي، وسواها فيما بعدها.

واستشهد سيبويه بشاهد شعري لهُدبة بن الخشرم العذري: (٥٢)

فلا ذا جلال هبنَه لِجلاله ولا ذا ضياعٍ هنَّ ضياعٌ يتركن للفقرِ

والشاهد في نصب (ذا) بإضمار فعل مفسّر تقديره فلا هبن ذا جلال، ولا يتركن ذا ضياع، وهنا الموضعان يتم فيهما النصب على تقدير الفعل المفسّر، ويكون الحرف قد جرى مجرى الحرف العامل (استفهام أو ما شابهه)... (٥٣).

كما يستشهد أيضاً بقول الشاعر زهير بن أبي سلمى، وقد نصب الاسم الواقع بعد حرف النفي (لا) في قوله: (٥٤)

لا الدّارَ غيرها بعدي الأنيسُ ولا بالدّار لو كلّمَتْ ذا حاجةٍ صَممُ

والشاهد في هذا البيت نصب لفظ (الدار) على تقدير فعل مفسّر... .

٢- ما جرى مجرى (كم) في الاستفهام:

وشاهده عند سيبويه قولك: (له كذا وكذا درهماً) وهو مبهم في الأشياء بمنزلة (كم)، وهو كناية للعدد بمنزلة فلان إذا كنبت به في الأسماء، وكقولك: كان من الأمر ذَيَّة وذَيّة، وذيتَ وذيتَ، وكيتَ وكيتَ، صار ذا بمنزلة التنوين، وكذلك (كأين رجلاً قد رأيتُ)...، إلا أنّ أكثر العرب يتكلمون بها مع (من) [٥٥]، ويستشهد سيبويه بالقرآن الكريم بقوله تعالى ((كأيّن من قريةٍ))[٥٦]، ليكون إدخال حرف الجر (من) استشهاداً على مجيئه مع لفظ (كأين) على إجراء مجرى العرب عموماً وهو استعمالهم لها معه، ويكون لفظ كناية العدد (كأين) قد جرى مجرى (كم) الاستفهاميّة على تقدير مجرى (يونس) واستعماله لها، وكذلك على تقدير حرف الجر من فتكون قد جرت مجراها أيضاً، ويستشهد سيبويه على ذلك بقول الشاعر: [٥٧]

وكأيّن رددنا عنكم من مدججٍ يجيءُ أمامَ الألفِ يَردي مُقنّعا *

والشاهد في استعمال كناية العدد (كأين) بمعنى (كم) الاستفهامية، وقد جاء بعدها حرف الجر (من)، فقد أدت معنى كم الاستفهاميّة مع ورود حرف الجر (من).

٣- ما جرى على موضع المنفي لا على الحرف الذي عمل في المنفي:

ويستشهد سيبويه بقول الشاعر: [٥٨]

بها العينُ والآرامُ لا عِدَّ عندها ولا كَرعٌ إلا المغامراتُ والرَّبْلُ [٥٩]

والشاهد هنا في رفع (كرع) على موضع الاسم المنصوب بلا والتقدير: (لا فيها عدّ ولا كرع)، ولو نصب حملاً على اللفظ لكان لك جائزاً؛ إذ يجوز الوجهان فلا عيب في أحدهما، ولا مانع يمنع أي وجه[٦٠].

وكما تبرز ظاهرة الإجراء في الحروف وكما برزت في الأسماء من قبل، تبرز كذلك في الأفعال.

ثالثاً: ظاهرة الإجراء في الأفعال:

(وإن كان على نحو أقل مما سبق)، إلّا أنه ظهر في مسائل عدة، منها: ما جرى من نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره استغناء عنه:

ومثاله عند سيبويه قولك (إيّاك) إن كنت تقصد التّحذير، فهنا اللفظ (إياك) كأن تقول: إياك باعد ... وما أشبه ذلك، ومن ذلك أن تقول: نفسَكَ يا فلان (وهي صيغة التّحذير)؛ أي اتّقِ نفسك إلا أنّ هذا لا يجوز فيه إظهار ما أضمرت، ... ومن الأمثلة الأخرى التي ذكرها سيبويه في كتابه التركيب: (إيّاك والأسدَ)، و(وإياي والشّرَّ)، وهنا يشرح التركيب بقوله: وكأننا نقول: (إيّاكَ فاتقينَّ والأسد)، و(إياي لأتقين والشر)، والأسد والشر مُتقيان هنا إذ إنّ كلاهما في موضع المفعول، والمفعول معه، وكلاهما (على سبيل المعنى) في موضع التّحذير[٦١].

* المدجج: اللابس السلاح من كل الجوانب، السلاح يحيط به من الجوانب كافة، اللسان، مادة: دجج.

ويعلل سيبويه حذف الفعل من (إياك) بكثرة استعمال العرب له في كلامهم، فهذه الكثرة في الاستعمال كانت سبباً في جعله بدلاً عن الفعل الأساسي في الجملة (فعل الحذر)، وحذفوه كحذفهم (حينئذٍ الآن)، وهنا كأنه يقول: احذر والأسدَ، فالتركيب قائم من ناحية المعنى على الحذر، وإن كان الفعل قد أُضمر إلا أن الاستغناء عنه هو في الوجود وليس في المعنى؛ إذ يبقى المعنى قائماً من حيث النائب عنه في الجملة (النائب الموجود) وهو (إياك) ...، ولكن ألح سيبويه على إبقاء الواو معللاً ذلك بأنه اسم مضموم إلى آخر، وجعل من ذلك الاسم في مطلع الجملة (على صيغة أسلوب التحذير)، كقولك: رأسَه والحائطَ، كأنّه قال: خلِّ أو دَع رأسَه والحائط ... . [٦٢]

وفي قوله: شأنَك والحجَّ، يكون التركيب بمعنى: عليك شأنك مع الحج، والواو هنا صارت بمعنى (مع) كما صارت في معنى (مع) في قولك: (ما صنعتَ وأخاك)[٦٣].

خاتمة:

بعد هذه الدراسة الوصفية لظاهرة الإجراء في كتاب سيبويه، توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- برزت ظاهرة الإجراء عند سيبويه في كتابه في الأسماء أكثر من بروزها في الأنواع الأخرى للألفاظ في الجمل .

- تعمّق سيبويه في شرح ظاهرة الإجراء في الأسماء على تنوّعها عارضاً الشواهد لتوضيحها للمتلقي على نحو بيّن لا يقبل اللبس.

- برزت ظاهرة الإجراء في كتاب سيبويه في الحروف أيضاً (وإن كان على نحو أقل منه في الأسماء)؛ فظهرت واضحة في حروف النفي وإجرائها مجرى حروف الاستفهام والأمر والنهي في العمل.

- برزت ظاهرة الإجراء في الحروف على موضع المنفي لا على الحرف الذي عمل في المنفي عند سيبويه، فتناول ذلك بالشرح والتوضيح، ليكون هذا التناول مركّزاً على الموضع، إلى جانب الحرف ضمن الإجراء.

- كان لظاهرة الإجراء في كتاب سيبويه نصيباً في الأفعال (وإن كان ظهورها فيهل على نحو أقل من السابق) فبرزت في الأفعال المضمرة والتي يبقى عملها ظاهراً، ويكون إضمارها على سبيل الاستغناء في الجملة بدون أن يُستغنى عن عملها.

- يشرح سيبويه ظاهرة إضمار الفعل المستغنى عن حضوره فقط (بدون الاستغناء عن عمله) من خلال التركيز على التّحذير في (إياك)، والاسم المنصوب في المطلع، ... ليستعرض الفرق بينهما وهو عدم جواز الإظهار في التركيب الثاني، مع جواز إظهار الفعل المضمر في التركيب الأول (إياك) .

- استعان سيبويه بالشاهد الشعري ليكون أداة توضيحية على نحو واضح وواسع لظاهرة الإجراء، وإثبات هذا الإجراء بعد شرحه، ليكون الشاهد الشعري بمنزلة الدّليل من جهة، وأداة توضيحية من جهة ثانية .

- ظهرت الشواهد القرآنية إلى جانب الشواهد الشعرية في كتاب سيبويه لتكون دليلاً على ظاهرة الإجراء وما يتعلق بها في بعض المواضع.

قائمة الهوامش

١- ينظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، د.ط، د.ت، ١٨٩/١ .

٢- سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، د.ط، د.ت، ١٨٩/١ .

٣- ينظر: المصدر نفسه، ١٨٩/١ .

٤- ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف إدارة الطباعة المنيرية، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية – القاهرة، ٦١/٦ .

٥- ينظر: سيبويه، الكتاب، ١٩٠/١ .

٦- الهمداني: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، الناشر: المكتبة التجارية العليا – القاهرة، ط١٤، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م، ٢ /٩٤

٧- ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ٦٢/٦ .

٨- ينظر: سيبويه الكتاب، ٣٤٣/١ .

٩- المصدر نفسه، ٣٤٣/١ .

١٠- المصدر نفسه، ٣٤٣/١ .

١١- المصدر نفسه، ٣٤٣/١ .

١٢- السيرة النبوية، ابن هشام، ج١، ص١٥٦

١٣- ينظر: سيبويه، الكتاب، ٣٤٤/١ .

١٤- المصدر نفسه، ٣٤٤/١ .

١٥- المصدر نفسه، ٣٤٤/١ .

١٦- المصدر نفسه، ١٠٨/١ – ١٠٩ .

١٧- سيبويه، الكتاب ، ١٠٩/١ .

١٨- ينظر: ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص٢٨٧ .

١٩- ينظر: سيبويه، الكتاب ، ١٠٩/١.

٢٠- المصدر نفسه، ٧٢/١ .

٢١- الفراهيدي: الخليل بن أحمد، المنظومة النحوية، تحقيق: أ. د. أحمد عفيفي، وزارة التراث القومي والثقافة – المنتدى الأدبي – سلطنة عمان، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ١٣١/١.

٢٢- ينظر: سيبويه، الكتاب، ٧٢/١ ، راجع: المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي- وزارة الأوقاف – القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ١٧٦/٤ .

٢٣- ينظر: سيبويه، الكتاب، ٧٣/١ ، وراجع: ابن يعيش، شرح المفصل، ١٤٢/٧ .

٢٤- ينظر: المصدر نفسه، ٧٣/١ .

٢٥- ينظر:السيرافي: سعيد، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: علي سيد علي + أحمد حسن مهدلي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، د.ت، ٣٥٤/١

٢٦- ابن مالك، شرح التسهيل، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد + د. محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ٤١/٣ – ٤٢ .

٢٧- ينظر: سيبويه، الكتاب، ١٦٤/١ .

٢٨- المصدر نفسه، ١٦٤/١ .

٢٩- ينظر: سيبويه، الكتاب، ١٦٤/١ .

٣٠- ابن أبي ربيعة: الديوان، تحقيق: د. فايز محمد، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، ص٣٨ .

٣١- ابن أبي سلمى: زهير، الديوان، تحقيق: د. علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨، ص١٤٠ .

٣٢- ينظر: سيبويه، الكتاب، ٣١٤/١ .

٣٣- البيت بلا نسبة وقد ورد في وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٨٣؛ وشرح المفصل ١/ ١٢٢ وعند السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ١٩٤/١ .

٣٤- ينظر: سيبويه، الكتاب، ٣١٤/١ .

٣٥- سيبويه، الكتاب، ٣١٨/١ .

٣٦- المصدر نفسه، ٣١٨/١ .

٣٧- المصدر نفسه، ٧٠/٢ .

٣٨- المصدر نفسه، ٧٠/٢ .

٣٩- عروة بن الورد، الديوان، ص٥٨.

٤٠- سيبويه، الكتاب ، ٧٠/٢

٤١- المصدر نفسه، ٢٤/٢ .

٤٢- سيبويه، الكتاب، ٢/٢٥ .

٤٣- سيبويه، الكتاب ، ٢/٢٥ .

٤٤- المصدر نفسه، ٢/٣٦ .

٤٥- ينظر: سيبويه، الكتاب ، ٢/٣٦ .

٤٦- ينظر: المصدر نفسه، ٢/٣٧ .

٤٧- حنجود: دويبة، أو وعاء كالصفد الصغير، اللسان، مادة: حنجد .

٤٨- سيبويه ، الكتاب، ٢/٣٧ .

٤٩- المصدر نفسه، ٢/٣٧ .

٥٠- ينظر: سيبويه، الكتاب ، ١/١٤٥ .

٥١- المصدر نفسه، ١/١٤٥ .

٥٢- البيت لهدبة بن الخشرم في ديوانه ص ٩٧؛ وخزانة الأدب ٩/ ٣٣٧ ، ابن حمزة: هبة الله بن علي بن محمد، أمالي ابن الشجري، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي – القاهرة، د.ط، د.ت ، ١/٣٣٤ .

٥٣- سيبويه، الكتاب، ١/١٤٥ .

٥٤- ابن أبي سلمى: زهير، الديوان، ص١١٣ .

٥٥- ينظر: سيبويه، الكتاب، ٢/١٧٠ .

٥٦- القرآن الكريم، سورة الحج : الآية ٤٨ .

٥٧- ينظر: سيبويه، الكتاب، ٢/١٧٠ .

٥٨- ينظر: سيبويه، الكتاب، ٢/٢٩١ .

٥٩- الآرام: جمع رئم، وهو الظبي، اللسان، مادة: رئم.

٦٠- ينظر: سيبويه، الكتاب، ٢/٢٩١ .

٦١- ينظر: سيبويه، الكتاب، ١/٢٧٣ .

٦٢- ينظر: سيبويه، الكتاب ، ١/٢٧٤ .

٦٣- المصدر نفسه، ١/٢٧٤ .

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: د. يوسف البقاعي؛ إبراهيم شمس الدين؛ نضال علي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .

٢- سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، د.ط، د.ت.

٣- السيرافي: سعيد، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: علي سيد علي + أحمد حسن مهدلي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، د.ت .

٤- ابن يعيش، شرح المفصل، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف إدارة الطباعة المنيرية، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية – القاهرة .

٥- الفراهيدي: الخليل بن أحمد، المنظومة النحوية، تحقيق: أ. د. أحمد عفيفي، وزارة التراث القومي والثقافة – المنتدى الأدبي – سلطنة عمان، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٦- الهمداني: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، الناشر: المكتبة التجارية العليا – القاهرة، ط١٤، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .

٧- المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي- وزارة الأوقاف – القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٨- ابن مالك، شرح التسهيل، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد + د. محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

٩- السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

١٠- ابن أبي ربيعة: الديوان، تحقيق: د. فايز محمد، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

١١- ابن أبي سلمى: زهير، الديوان، تحقيق: د. علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨ .

١٢- ابن حمزة: هبة الله بن علي بن محمد، أمالي ابن الشجري، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي – القاهرة، د.ط، د.ت .

Sources and references:

-The Holy Quran.

1- Ibn Manzur, Lisan al-Arab, edited by: Dr. Youssef Al-Bikai; Ibrahim Shams Al-Din; Nidal Ali, Al-Alami Publications Foundation - Beirut, 1st edition, 1426 AH-2005 AD.

2- Sibawayh, Al-Kitab, edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji Library - Cairo, No.ed., No.d.

3- Al-Serafi: Saeed, Explanation of the Book of Sibawayh, edited by: Ali Sayyid Ali + Ahmed Hassan Mahdali, Al-Kutub Al-Ilmiyya for publishing - Beirut, 1st edition, No.d.

4- Ibn Yaish, Sharh al-Mufassal, edited by: a group of scholars under the supervision of the Muniriya Printing Department, publisher: Muniriya Printing Department - Cairo.

5- Al-Farahidi: Al-Khalil bin Ahmed, The Grammatical System, edited by: Prof. Dr. Ahmed Afifi, Ministry of National Heritage and Culture - Literary Forum - Sultanate of Oman, 1st edition, 1420 AH - 2000 AD.

6- Al-Hamdani: Ibn Aqeel, Explanation of Ibn Aqeel, Publisher: The Supreme Commercial Library - Cairo, 14th edition, 1385 AH - 1965 AD.

7- Al-Mubarrad, Al-Muqtasib, edited by: Muhammad Abdel-Khaleq Adima, Supreme Council for Islamic Affairs - Committee for the Revival of Islamic Heritage - Ministry of Endowments - Cairo, 2nd edition, 1399 AH - 1979 AD.

8- Ibn Malik, Sharh al-Tashil, edited by: Dr. Abdel Rahman Al-Sayed + Dr. Muhammad Badawi Al-Makhtoon, Hijr for Printing, Publishing and Distribution, 1st edition, 1410 AH - 1990 AD.

9- Al-Suyuti, Ham'a al-Hawaami' fi Sharh Jum' al-Jawaami', edited by: Ahmed Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 1st edition, 1418 AH - 1998 AD.

10- Ibn Abi Rabia: Al-Diwan, edited by: Dr. Fayez Muhammad, Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut, 2nd edition, 1416 AH - 1996 AD.

11- Ibn Abi Salma: Zuhair, Al-Diwan, edited by: Dr. Ali Hassan Faour, Al-Kutub Al-Ilmiyyah for publishing- Beirut, 1st edition, 1408 AH - 198.

12- Ibn Hamzah: Hebatullah bin Ali bin Muhammad, Amali Ibn Al-Shajri, edited by: Dr. Mahmoud Muhammad Al-Tanahi, Al-Khanji Library – Cairo, No.ed., No.d.